بقلم: هشام مالك

كلمات في لهيب معركة اللد

الكلمات الاخيرة للابطال

« سوف نبذل كل طاقاتنا لانجاح العملية . اننا الان على استعداد للموت كمقاتلين سيذكرهم التاريخ كمجهولي الاسماء . لا نريد لاصدقائنا واهلنا ان يحزنوا او ان يشيعوا جثثنا . نرجوكم جميعا .. افرحوا » كانت هذه هي الكلمات الاخيرة للابطال الثلاثة قبل ان تقلع طائرتهم الى مطار اللد لتنفيذ مهمتهم فيعملية دير ياسين . وجوههم لا تنم الا عن الارتياح .. لم يضحكوا .. رغم هذا كان الارتياح باديا على وجوههم .

باسم : وجهه كوجوه الاطفال . ولكنه وجه طفل قوي الشكيمة ، ابتسامته تبعث ارتياحا بالمتحدث ، ربما لندرة هذه الابتسامة . رغم دقة تقاطيعه التي تنم عن احساس مرهف فانك ترى في كل حركة وفي خلجات هذه التقاطيع عنفا وقوة شكيمة . كلماته قليلة ولكنها سريعة تماما كطلقات مدفع رشاش .. لا تعبر عن العنف فقط ولكنها تفرض صمتا بعدها . يرى في الاشياء الصغيرة جمالا . ربما لانه يرى فيها قدرة النمو والتطور : يرى فيها : التغير . الاطفال يحبهم كثيرا وتكثر ابتساماته عندما يراهم ، يداعبهم .. بحنو كبير .

صلاح : الوجه ينم عن الطيبة والالفة .. يضحك ببشوش . تشعر وكأن الطاقة فيه تتفجر حركة وذكاء . طلقاته لا يتبعها صمت كطلقات باسم بل يتبعها ضحكة ارتياح ، ضحكة حب .. حب الثائر الذي لا تلين قناته ابدا . عنيف . عاطفي ولكن بتؤدة .

احمد : صامت . يضحك ويبتسم بصمت وجهه لا يعبر عن شيء لا ينم عن شيء . رغم هذا فوجهه يبعث فيك ارتياحا . يفكر كثيرا ثم يبتسم وترتسم على عينيه فكرة : « لقد وجدت الطريق » .

ولكنهم جميعا ، بدا عليهم المرح قبل صعودهم الى طائرة « الاير فرانس » وطوال الرحلة حتى وصلوا تل ابيب . وحينما اعلن قبطان الطائرة ان الطائرة ستهبط في مطار اللد . ارتسمت على وجوههم التعابير التي ترتسم عادة . باسم بوجهه ذي التقاطيع الدقيقة والباردة الحدة ، صلاح بوجهه الطافح بالحيوية والمرح دون انيفطر للتحرك او الضحك ليبرهن ذلك واحمد الصامت « الذي وجد الطريق » . لقد بدات مرحلة التركيز . الحواس مرهفة لاعلى درجة . الانتباه . المراقبة لا تترك حركة يد او رمشة جفن دون انتلاحظها . توقفت المحركات عن الدوران وبدا الركاب يمططون اجسامهم تهيأ للنزول . هبط الثلاثة وصعدوا الى « الباص » دون ان يفوهوا بكلمة . كل الحواس مركزة ومرهفة . كان كل شيء عاديا ولكن المطار كان مزدحما ، توقف الباص امام مدخل قاعة « الوصول » وصعد الابطال الثلاثة الدرجات المؤدية الى الردهة امام « صناديق » رجال الامن مدققي جوازات السفر . كانت القاعة من امامهم شبه فارغة . وعندما عبروا باب الحاجز الزجاجي كانت الحقائب بدات تتوارد على الحزام المتحرك في طرف القاعة . خمسون مسافرا تحلقوا حول الاحزمة المتحركة ليأخذوا حقائبهم وانتظر الثلاثة حقائبهم . بهدوء .. مرعب .. بهدوء مصمم . وسمع الثلاثة صوت المذيعة تعلن عن وصول طائرة « العال » . وبعد دقائق معدودات ربما خالوها طويلة جدا وصلت حقائبهم . كانت القاعة تعج بالقادمين الان . بينما امتلات الردهة امام مفتشي جوازات السفر بركاب طائرة العال القادمة .

وضع كل من الابطال حقيبته على عربة الحقائب ودفعها باتجاه مختلف .

اهارون كاتسير

تردد هذا الاسم كثيرا خلال الاسبوعين الماضيين . فقد كان بين قتلى عملية مطار اللد ، وابنه كبار المسؤولين الاسرائيليين وحضر جنازته طاقم الدولة الصهيونية العلوي وعسكريوها الكبار .

ولد اهارون في بولندا عام ١٩١٤ ، ترعرع ايضا في بولندا ، تعلم فيها وتدرب على السلاح فيها ايضا ، هاجر الى فلسطين وهو في الثلاثين من العمر ، وساهم في بناء وتسليح العصابات الصهيونية في فلسطين وفي تطوير انواع من المتفجرات وتصنيعها محليا .

وفي عام ١٩٤٨ (في الرابعة والثلاثين من عمره) سلم اهارون قيادة منطقة القدس التي كانت من اصعب المناطق واكثرها عنفا في الدفاع امام هجمة الصهاينة، والتي استبسل بها المقاتلون الفلسطينيون ، ولقد التقى اهارون كاتسير خلال تلك الفترة بعدد من المسؤولين الاردنيين واجرى معهم مباحثات واتفق الطرفان (اتفاق جنتلمان) على الخطوط التي بقيت حتى عام ١٩٦٧ ..

وبعد اعلان قيام دولة الصهاينة على ارض فلسطين انضم اهارون كاتسير لاكاديمية العلوم (معهد وايزمن) ، وفي نفس الوقت كلف بتاسيس الشعبة العلمية في الجيش الاسرائيلي ، وهي الشعبة المسؤولة عن تطوير الاسلحة والابحاث في الجيش ، ونتيجة لخدماته « الجليلة » عين اهارون رئيسا للاكاديمية الاسرائيلية للعلوم عام ١٩٦٢ . وبقي في منصبه هذا حتى عام ١٩٦٨ . عندما عين المستشار « العلمي » لجهاز الامن الاسرائيلي وفي نفس الوقت احتل اهارون مقعد استاذ الكيمياء الفيزيائية في الجامعة العبرية .

سكن اهارون البولندي والذي ساهم في قتل اهلنا في تل ابيب في شارع ديتوق . وتزوج وانجب ولدين على ارضنا . بدا بتثقيف اولاده ان فلسطين ارضهم وبنفس الوقت كان يعمل لقتل اولاد الفلسطينيين لكي لا يقتلوا اولاده وارثي الارض المغتصبة من مغتصبها .. هو .

اهارون كاتسير ، في تصنيف الصحف الغربية ووكالات الانباء في اسرائيل وخارجها « مدني بريء » كان موجودا بالصدفة في المطار ، راح ضحية « وحشية » فدائيين اطلقوا النار « دون تمييز » ..

المطلوب ايضاح !

الجبهة والجيش الاحمر تنظيمان ، قضية واحدة !

اليابان مجتمع تسود فيه علاقات الانتاج الراسمالية : طبقة غنية ترتبط بالراسمالية الاميركية عبر الشركات الاحتكارية الكبيرة ، ومنذ عشرة اعوام بدات الراسمالية اليابانية تشكل منافسا للراسمالية الاميركية خصوصا في شرق اسيا ، ولكن ارتباطها بها عبر المواثيق والمعاهدات جعلها ذيل للراسمالية الاميركية حتى الان .

الشرق الاوسط منطقة متخلفة تستثمر فيها الراسمالية الاميركية اموالها لتنهب خيراتها، وفي الفترة الاخيرة بدات الراسمالية اليابانية تستثمر اموالها في المنطقة ايضا لنهب ثرواتها ولكن بقليل من الاستحياء ..

في اليابان طبقة عاملة مستغلة تحاول توعيتها وتنظيمها عدة تنظيمات يسارية .

في الشرق الاوسط شعوب متخلفة مستغلة من الامبريالية والصهيونية تحاول عدة تنظيمات تنظيم وتجنيد هذه الجماهير لتحرير نفسها .

التناقض الرئيسي في منطقتنا ، هو تناقض الامبريالية والصهيونية والرجعية من جهة وبين الجماهير من جهة اخرى : نقطة الاحتكاك فلسطين ..

في فلسطين تنظيم ماركسي لينيني ينادي ويعمل بالكفاح المسلح واستعمال العنف الثوري ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية وفي اليابان هنالك الجيش الاحمر الذي ينادي ويحرض الطبقة العاملة لاستعمال العنف الثوري المنظم ضد المؤسسة الراسمالية المرتبطة بالراسمالية الاميركية .

الجبهة الشعبية تنادي بضرب العدو اينما كان ..

والجيش الاحمر ينادي باستعمال العنف الثوري ضد اعداء الشعوب ..

في فلسطين : عملية استعباد واستغلال واضطهاد لارض وشعب عربيين قائمة من قبل الامبريالية والصهيونية .

عملية التصدي لها تقوم بها عناصر ثورية فلسطينية وعربية وعالمية . حتى الان لم تعط الجماهير العربية للثوار الفلسطينيين بعدهم العربي والا لما كان بامكان الوقاحة الاميركية ان تصل الى هذا الحد ومن بعدها ان تصل وقاحة المسؤولين اليابانيين الى حد الاعلان عن ان الاموال التي تدفعها لاسرائيل ليست للتعويض ولكن للمناصرة .

الجماهير العربية مطالبة باعطاء هذا البعد !.

لسنا بيائسين ولا نهوى الانتحار

ياسر هواري رئيس تحرير مجلة الاسبوع العربي قال في وقفته التاملة يوم الاثنين الماضي ان اسرائيل دفعت بالفدائيين الى « حافة اللاانسانية » . وذكر السيد هواري ذلك في سياق تعليقه على عملية مطار اللد .

نسي السيد ياسر هواري ان عملية الجبهة الشعبية لم تكن رد فعل بل كانت فعلا مخططا وضمن خط استراتيجي من خطوط الجبهة مارسته وتمارسه وستمارسه ، خط لا يعترف بالمجتمع الاسرائيلي بكل مؤسساته الا كمجتمع عسكري . اما اذا راى السيد هواري امكانية الفصل بين المدني والعسكري في اسرائيل فليزودنا بلائحة تعرف من هو المدني ومن هو غير المدني في اسرائيل : نحن انسانيون محبون للسلام ، ثوار نقاتل ونقتل العدو تماما لاننا انسانيون ونحب السلام ..

اننا لا نعمل على اساس قاعدة شمشون « علي وعلى اعدائي يا رب » . فشمشون كان اسرائيليا ، بل نعمل من اجل تحرير فلسطين بنفس طويل ، طويل جدا قد يجده الكثيرون غريبا .

ولسنا بشرا يائسين ننتحبط .

فقط نقتنا اردت للسيد ياسر هواري الا يقع فيهما ، لان الامبرياليين والصهاينة يحاولون تصويرنا كيائسين لا ينبض فينا عرق الانسانية !..

نحن انسانيون لذلك نقاتل .. نحب السلام لذلك نحن الحرب الطويلة ..

الشهادة لها ثمن ..

هنالك نوعان من العنف : عنف رجعي وعنف ثوري . العنف الرجعي يستغل ويضطهد ويقتل في سبيل ذلك والعنف الثوري يدفع الاضطهاد والاستغلال ويحاربهما ويقتل في سبيل ذلك . ولا يمكن ان نضع العنفين في كفة واحدة .

ان للمقاتلين الفلسطينيين والعرب ان يعرفوا ان حب الوطن والاستماتة في استرجاعه وتحريره ياتي عن طريق واحد : قتال العدو وقتاله وقتاله ..

اتحب وطنك ؟ اتريد استرجاعه ؟ اترغب في تحريره ؟ اذن قاتل في سبيله ، واضرب عدوك دون رحمة ودون ان تتوقف ، ولكن دون ان يكون الموت هدفك ، ان الرومانسية التي سادت حتى الان والتي تنادي بالاستشهاد يجب ان تتوقف ليحل محلها شعار اخر بدلا من : « الى الشهادة » هو « الى قتل العدو » .

يجب ان يكون قتال العدو وضربه هو هدفنا ، لقد ظهرت عقلي من بقايا عقلات علمها لنا المستعمرون في مدرستنا .. التبشيرية كما قيلت للكثيرين من ابناء هذا الشعب خلال ربع القرن الماضي ، ظهروا عقولكم ايها العرب وقاتلوا العدو واقتلوا به ولا تستشهدوا الا اذا كان ذلك لازما ..

لو لم يصرحوا بما صرحوا لقلت : « لا بد أن هنالك خطا »

في الاردن صرح النظام : « عقول مريضة هي التي خططت ونفذت . ان روحهم بعيدة عن روح الفلسطينيين والعرب » .

النظام الذي ابت عليه « روحه » الا ان يدمر مخيم الوحدات على الاطفال والنساء ، ابت عليه الا ان يقتل عشرة الاف من ابناء الاردن الحبيب ، قام اليوم يقيم عمل الفدائيين الثوري بانه عمل مريض !

انه يريد من الفلسطينيين ان يركعوا من اجل ان تقبل اسرائيل استسلامهم . يريد من جماهير الاردن ان تستقبل نابالم الصهاينة بصدر رحب . لماذا ؟ لاننا عرب ولا يمكن لنا ان نضرب احدا في عقر دارنا . فمن دخل دارنا فهو آمن ولو نالنا منه الاذى !

في واشنطن قال نيكسون : « ان العمل الذي تم في مطار اللد ضخم في آثاره بشع في عنفه . يجب ان تعمل الولايات المتحدة على وقف التزيف في المنطقة » .

لان نيكسون لا يرى مآسي شعب فيتنام ولانه يكره العنف البشع يهدي كل صباح لشعوب الهند الصينية الاف الاطنان من القنابل والنابالم ، لان نيكسون لم يكتف بحرق اراضي فيتنام بالقنابل قام بقصف المستشفيات والمدارس والاحياء السكنية والمصانع والموانيء في فيتنام الشمالية .

ولان نيكسون يحب السلام فهو يريد وقف التزيف في المنطقة . لماذا ؟ لانه يريدها منطقة هادئة . لان منطقته رقم واحد في العالم (بوجود فيتنام) يجب ان يسودها الاستقرار حتى تستطيع شركاته الاحتكارية نهب ثرواتها وحتى يستطيع اربابه قهر شعوبها وحتى تستطيع الصهيونية ان تتوسع وتحتل وتستعبد .

في الارض المحتلة الجبري يقول : « نستنكر هذه الجريمة لانها تخالف تعاليم الشرف العربي . نقول للمخربين ليبحثوا عن الجيش او المؤسسات العسكرية ليضربوها » اهلا بتعاليم الشرف ، ما هو الشرف ايها الجبري ؟ اهو قانون الضيافة الذي تتصرف حسبه ايها الجبري ؟. ام هو التعاون مع الاعداء والركوع لهم ؟

ان جماهيرنا لا تهمل ، والشرف الاهم في عرفها هو شرف الحرية .. شرف الانسان !